حسن أبو يوسف اللويثي

جذور القوة

حسن أبو يوسف اللويثي

27

جذور القوة

حسن أبو يوسف اللومي

المحتويات



مقدمة

لا نريدها . . . وحدة كزبرية

لانريدها . . . وحدة حناوية

لا نريدها . . . وحدة بزرية

لانريدها وحدة كزبرية تقوم متى أراد الكزبرى لها أن تقوم وتتلاشى متى أراد .

لانريدها وحدة حناوية تقوم باشارة وايماءة من الحناوى وتنتهى باشارة وايماءة منه . . .

لانريدها وحدة بزرية تقوم برنة جرس من البزرى وتتبدد برنة جرس مشابهة منه . . .

لانريدها وحدة الوصوليين والانتهازيين والنفعيين الذين يرتدون معطف القومية ويتشدقون بالعبارات الوحدوية الفارغة من أى محتوى ليخفوا جلودهم الاقليمية البشعة والسنتهم القزمية السليطة . . .

نريدها . . . وحدة جماهيرية ، بالجماهير وللجماهير العربية ، ومع الجماهير العربية . . .

نريدها وحدة جماهيرية تهتز أمامها أركان العروش . .

وتتساقط أمامها التيجان والصولجانات . . . وتتدحرج أمامها رؤوس أصحاب السمو والقمامة تلك الرؤوس الخيانية التى باعت العرض والشرف .

وحدة جماهيرية . . . تنغلق أمامها الأفواه الشرهة التى شربت أكثر مما ينبغي وتفوهت بالقومية من باب حرصها على عروشها وتيجانها وصالوناتها المبهرجة .

وحدة جماهيرية . . . تدك حصون الفاشيين والسلطويين والقزميين في القاهرة والخرطوم وعمان وبغداد ومقديشو والرباط ومسقط والرياض وغيرها . . .

نريدها وحدة جماهيرية . . بالجماهير العربية ومع الجماهير العربية وللجماهير العربية . . تقودها إلى طريق الانعتاق النهائي لتمتلك فيها الجماهير في الجماهيرية العربية الواحدة « السلطة والثروة والسلاح » وتتأر فيها الجماهير لكرامتها وعزتها وكبريائها . . وتغسل عارها وشرفها الملطخ وتعيد مجدها كخير أمة أخرجت للناس . . وتعيد كيانها ووجودها القومي وتكون أمة عربية واحدة فيها السلطة والثروة والسلاح في يد الشعب العربي من المحيط إلى الخليج .

الدين والقومية يحركان الانسان والتاريخ

الدين والقومية فيما يثبته التاريخ ووفق استقراء سيرة الانسان من الآن وإلى الوراء ، انهما باستمرار يحركان التاريخ ، يحركان الانسان ، يكونان الأمم ، يكونان الشعوب ، يرسمان الحدود ، يثيران الحروب . وكل التحولات الكبيرة في التاريخ ، أو التحولات عموماً في التاريخ أسبابها الدين والقومية بمعنى أن التاريخ يصنعه الدين والقومية ، والتاريخ يحركه الدين والقومية . حتى خريطة العالم لو نضعها الآن أمامنا ، وننظر إلى الوحدات السياسية الموجودة عليها نجد أن أسبابها دينية وقومية . وهذه الأمة تكونت على هذه الخريطة وسميناها أمة وشعوبا ، الا لانها ذات قومية واحدة أو امبراطورية أو غيرها . الاسرة فالعشيرة فالقبيلة فجموعة القبائل التي تكون الأمة .

والانسان دائماً يحتاج إلى الدين ، أو الانسان عملية دينية أصلا .. انه ما خلق صدفة،وعليه فإن الدين كان عاملا مثل العامل القومى ، أحياناً يتداخل معه ، وأحياناً تكون حركة قومية خالصة ، وأحياناً تكون حركة دينية وقومية وشواهد كثيرة في التاريخ ، تثبت أن التاريخ يحركه الدين والقومية . فتكوين المجموعات الموجودة الآن والتى نسميها دولا جاء نتاجاً طبيعياً لعاملى الدين والقومية ، وبسبب حركتهما تكونت هذه الوحدات . إن العالم بدونهما يشكل مجتمعات فوضوية ، ثم مامعنى استصدار جوازات السفر والبطاقات الشخصية وشهادات الجنسية ؟ معنى هذا ، لكى نحدد هذا من هذا الشعب وهذا من هذا الشعب ، هذا من هذه الأمة وهذا من هذه الأمة ، والا لجاز لكل إنسان بغض النظر عن الأمة والاصل الذى ينتمى إليهما أن يطوف العالم دون أن يعترضه أى كان سائلا إياه جواز سفره أو عن حيثيته ، طبعاً هذه حكمة إلهية « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » .

الاقتصاد ضمن العوامل المحركة

إذن هنا نصطدم — ان لم نقل اننا ننسف التفسير الماركسى للتاريخ والذى يقول ان التاريخ يحركه الاقتصاد — فلا يمكن أن يكون الاقتصاد هو المحرك للانسانية كلها بحروبها وثوراتها وتفاعلاتها ، وفي ذات الوقت ليس جائزا الشطب على الاقتصاد نهائياً كعامل من العوامل في حياة الانسان ، يشطب عليه لأن ماركس تعلل به ، وهذا يبدو تعصباً يؤدى إلى الخطأ. ويجب اعتبار العامل الاقتصادى من ضمن العوامل التى تتدخل في حياة الانسان ، لكن لا يمكن أن يكون هو العامل الأول والرئيسى أبداً .. العامل الأول باستمرار هو الدين والقومية ، وليس معنى هذا ان الدين والقومية يتصارعان مع بعضهما .. وإنما هما يدفعان الانسان لكى يتحرك ، ويدفعان الأمة .

وإن العامل الاقتصادى يأتي في المرتبة الثالثة أو الرابعة أو الخامسة ، وأحياناً لا يظهر أبداً في حركة من حركة التاريخ ، ولو تأملنا قليلا في كتب التاريخ لأيقنا أن حركات كبرى متعددة كانت أسبابها دينية أو قومية .

ماركس وحياة الفقر

أما التعلل بأن العامل الاقتصادى هو الذى يحرك التاريخ فهذا أسبابه معروفة، وهى أسباب نفسية وموضوعية . . ظروف أحاطت بماركس في لندن والناس التى تعيش في الأكواخ وحالة الفقر المدقع التى كان يعيشها والاضطهاد الذى تعرض له ، حيث مات أبناؤه جوعاً ، ولم يتحصل على قوته إلا بمساعدة صديقه انجلز . وعليه هذه الظروف التى عاش فيها انسان بهذا الشكل ، لابد أن تنعكس على نفسيته ، ويعبر عنها فينظر إلى كل شىء بهذا المنظار . فالانسان الذى يعيش في الظلام يرى الدنيا كلها ظلام ، والانسان الذى ملأ بطنه حتى التخمة يظن بأن الدنيا كلها شبعى ، والحالة التى تكون عليها تجعلك تقيم بنفس المنظار كل الأمور الأخرى أى أن شخصاً شبعان لايستطيع أن يتصور حالة شخص جوعان أبداً ، فالجوعان الذى يبحث عن لقمة عيش لا يتصور أن هناك شخصاً شبعان ، أى أنه لا يستطيع تصور هذه الحالة .

فهذه هى ظروف ماركس والتى جعلته يفسر التاريخ هذا التفسير ويحدد الاقتصاد كعامل اول في حركة التاريخ .

فهذا ما يؤكده ماقاله أحد الفلاسفة « ماذا تعنى حديقة مملوءة بالورود لكل جائع » أما عن الدين

إن ماركس ما كان يريد ، أو ما كان يؤمن بعـــدم وجود الله ولكن هو أراد أن يتجـــاهل الله . وهناك فرق بين أن تتجاهله وبين أن تجهله .

هذا الحكم على الدين اسبابه الكنيسة التى عاش ماركس وزملاؤه في جوها في ذلك الوقت ، نقصد حالة الكنيسة المسيحية – فالبابا كان يبيع صكوك الغفران ، ويعطيك أرضاً في الجنة – فوجد ماركس الدين بهذا الشكل . وهو وجود مغالط وسيء ، فحدثت مساخر الامر الذى جعله يرفض الدين ويتجاهله .

ولكن مع تطور الثورة الشيوعية، أدى التطرف الى جدل في وجود الله سبحانه وتعالى .. بالرغم من انه ماكان وارداً في المعطيات الأولى لهذه النظرية ، وعلى أى حال هذه نظرية قديمة وأصبحت كتبها تعتبر من الكتب الرجعية مثل الكتب الصفراء تلك التى تعداها العصر وتجاوزها فكر الانسان

هذه قضية الدين والقومية بغض النظر عن أى دين وبغض النظر عمن جاء به ، فليس هذا هو المقصود فالمقصود الدين بصورة عامة والقومية بصورة عامة .. أى قومية عربية أو أعجمية أو فرنسية .. فالمهم هو القومية والدين بصورة عامة ،

الهند وباكستان وقيام بنجلاديش

ان حركة وجود دولة باكستان ، وكمثل قريب حتى هذا العصر الذى يظنون عدم وجود هـــذه الأشياء ، فيه ، الا انها تفعل فعلها في الانسان وفي الامم .. فقيام دولة باكستان الشرقية والغربية وانفصالهما عن الهند كان لاسباب دينية ، فهؤلاء مسلمون ، والآخرون ليسوا مسلمين لكن سكان شبه الجزيرة يجوز ان يكونوا من أصل واحد ولغتهم واحدة ، أو منطقة جغرافية واحدة ، هكذا كان قيام باكستان والهند لاسباب دينية .

حركة كبيرة في التاريخ كان سببها عامل دينى . . قيام بنجلاديش الآن اسباب قومية تبين ان بنجلاديش لها قومية

غير الباكستان الغربية ، وعليه كان هذا دافعا للانفصال ، دافعاً قومياً ، إذن حركة هذه الشعوب في هذه المنطقة من الاربعينات الى السبعينات كانت تتخللها مرحلة دينية ومرحلة قومية . ويمكن أن تأتي مرحلة أخرى دينية تتفاعل معهاوهكذا تأتى عوامل اخرى اقتصادية واضطهاد ، وهــذه عوامل ثانوية ، لكن العامل القومى هو السبب الذى حرك هذه الاشياء كلها وقرر لها .

تاريخ الانسانية

قد يكون هناك عامل نفسى وعامل اقتصادى ، ولكن هذه العوامل ثانوية احيانا تشتد واحيانا لا تكون كذلك.. وعليه لكى نضبط مسيرة تاريخ الانسانية على الطريق المستقيم لابد لنا ان نفهم عوامل تحريك التاريخ الانسانى .

وما دامت قراءة التاريخ بينت ان القومية والدين هما اللذان يحركان التاريخ ، اذن علينا ان نقف امام القومية والدين ونحترم القومية ونقدس الدين وبتفسير آخر ان الحروب في السابق لم تقم لاسباب اقتصادية كما يقول ماركس

الذى يفسر التاريخ تفسيرا ماديا بحتا .. العامل الاقتصادى قد يأتى وقد لا يأتى ، أحيانا يكون شديدا فعلا واحيانا لا يظهر ،واحيانا يكون في المرتبة الثالثة او الخامسة او في العشرين.

أما العاملان الأساسيان لتكوين تاريخنا نحن البشر حتى الآن هما القومية والدين .. وحتى نتجنب الوقوع في مأساة الحروب والتطاحن علينا أن نحترم قومية بعضنا البعض ، لأن سبباً من أسباب الحروب هو اعتداء على قومية .. شخصى يتجاوز حدود الآخر .. تحاول قومية أن تسحق قومية ، أمه تطمس شخصيتها .. فالأمة المعتدى عليها تريد أن تحافظ على أصالتها وعلى شخصيتها .. على قوميتها . . تريد أن تدافع عنها والمعتدى يريد أن يحقق هدفه . ومن هنا تنشب الصراعات في تاريخ البشرية .

القومية في القرآن والكتب السماوية

القومية في اللغة العربية مشتقة من كلمة قوم .

وتعنى القومية وجود أمة بشكل تتميز به عن غيرها من الأمم نتيجة لاشتراك ابناء هذه الأمة في مجموعةمن المميزات تجعلهم يشعرون بأنهم ينتمون إليها ويتميزون

عن غيرهم من أبناء الأمم الأخرى . والقومية عادة تقوم على الدعائم الآتية : اللغة والعادات والتاريخ والدم .

وبهذا المعنى وردت القومية في آيات كثيرة من القرآن الكريم . منها : قول الله سبحانه وتعالى :

« ذلكَ بأنَّ اللهَ لمْ يكُ مغيراً نعمةً أنعمَهَا علَى قَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُوا ما بِأنْفُسِهِمْ وأن الله سَميعٌ علِيم » . (الأنفال : ٥٣)

وقوله تعالى : « ويحْلِفونَ باللهِ إنهم لمنكُمْ وَمَا هُم مِنكُمْ وَلكنّهُمْ قوْمٌ يفرقون » .

(التوبة : ٥٦)

وقوله تعالى : « انَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حتّى يُغَيِّرُوا مَا بِأنفُسِهِم »

(الرعد : ١١)

وقوله تعالى : « إنّا أرْسَلْنَا نُوحاً إلى قَوْمِهِ أنْ أنذِرْ قَوْمَكَ مِن قبْل أن يأتِيهم عَذابٌ أليمٌ » .

(نوح : ١)

وقوله تعالى : « إن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ القَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ ، وتِلْكَ الأيّام نُداوِلُها بَيْنَ النّاس» .
(آل عمران : ١٤٠)

وقوله تعالى : « وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رسول إلا بِلِسانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ » .

(إبراهيم : ٤)

« ولَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إلى النُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيّامِ الله » .
(ابراهيم : ٥)

وغير ذلك من الآيات التى لم تذكر فيها كلمة « قوم » صراحة ، ولكنها تدل على معنى القومية وتؤكده ، كقوله تعالى : « وَآتِ ذَا القُرْبَى حَقَّه . . » فهنا تأكيد على صلة القرابة ولو أن القرآن لم يؤيد القومية ، وقرابة الشخص بأصله ونسبه لما وردت هذه الآية وأمثالها . كقول الله تبارك وتعالى : « وَاتَّقُوا اللهَ الذى تساءلون به والأرْحام » الذى يدل على قداسة صلة الرحم .

والآية الكريمة : « قُل ما أنفقتُم من خَيرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالأقْرَبِينِ» معجزة في دلالتها على الشعور القومى . فحقيقة الأمر أن الوالدين هما أقرب الناس إلى الانسان ، من حيث صلة الرحم ، يأتي بعدهما الأقل منهما قَرابة ، ثم مَن يليهم . . إلى أن تتكون أسرة . . تكبر حتى تصبح أمة . . وهكذا لو بحثنا في التاريخ لوجدنا أن العرب جميعهم ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة .

وعليه . . كلمة قومية واردة في القرآن والدين ، والكتب السماوية كلها تتكلم عن القومية ، باعتبارها أمر طبيعى ، وهى قوم . . قوم عاد ، وقوم ثمود ، وقوم موسى ، وكل الأنبياء الذين نسمع عنهم لهم قوم .

كلمة قوم تعنى أمة، ناس لأسباب سواء كانت الأصل أو الجوار أو التاريخ المشترك أو أى شيء جعلتهم أمة واحدة، فأصبحت قوما . . وإذا أتينا بمجموعة أخرى من البشر لها ظروف جعلتها تعيش على حدة ومستقلة عن المجموعة الأخرى أصبحت أقوام . . وهذه موجودة في القرآن ونتكلم بها نحن ، قوم ، وأقوام .

وهـــذه لا تعنى مشكلة أبداً ، كونك انســـان يرتبط بانسان آخر رابطة انسانية ، والانسان الاجتماعى يعيش في قوم ، يعيش في شعب ، وكثيراً ما يتحدث القرآن عن القوم . . قوم عاد ، وقوم ثمود .

احترام القوميات

لكى نقضى على الصراعات السياسية في تاريخ البشرية يجب احترام قومية أى شعب ، وهكذا فطبيعة تاريخ البشرية يجب أن تقوم على احترام القوميات وعدم سحق قوميات الآخرين نتيجة لكثرة أو لقوة أو نتيجة الطغيان ، حيث تعتدى قومية على قومية لأنها أقوى منها .

ثم نأتي للدين فنجد حروباً كثيرة وقعت بين الأمم في تاريخ البشرية أسبابها عوامل دينية . أحياناً تكون دينية بحتة وكثيراً ما اختلط الصراع من أجل المحافظة على القومية بالعوامل الدينية وكثيراً ما اختلط الصراع من أجل الدين بالعوامل القومية ، إذن الدين والقومية عاملان متلا زمان في حياة البشرية . ولكى نتجنب السبب الثاني للحرب هو

أن نحترم الأديان ونقدسها بمعنى الا نمس دين انسان . قدسية أى دين بل نعمل على إحترامه وتقديسه .

وعندما نتحدث عن الدين . . نتحدث عن الدين المجرد ، حتى الذى يعبد الوثن عندما تعتدى على هذا الوثن فانت اعتديت على آلهته . . فهو بدافع دينى سيدافع عنه . . ومن هنا وقعت الحروب نتيجة اعتداءات على الأديان ما بين فريقين . . إذن علينا أن نحترم الأديان . فاذا تجاهلنا عامل الدين وعامل القومية لن تكون هناك حدود نقف عندها ، وعندئذ يلتبس الأمر كثيراً على الانسانية ونصبح في دوامة المشاكل ولا نعرف ماهو السبب وكيف نخرج من الدوامة.. لكن السبب هو العودة إلى الأصل . . العودة إلى أسباب تشكيل التاريخ وكيف نستطيع أن نثبت أن التاريخ يسير سيراً طبيعياً ، أن نحترم مكوناته « القومية والدين » .

القومية قبل الدين

لماذا لم يستبعد القرآن هذه الكلمة ؟ . . لأن كلمة قوم موجودة مذ كان الانسان حتى قبل ان تتنزل عليه الرسالات

ومن قبل ان يبعث أى رسول من الرسل .. أقتضت حكمة الله أن يوجد بادئا ذى بدء القوم ثم بعد ذلك يبعث لهم الرسل يدعوهم إلى الصراط المستقيم ولا بد أن يكون هؤلاء القوم يعيشون ظروفا واحدة (بيئة — عادات — تقاليد — لغة (. — ناس يعيشون مع بعضهم وببساطة هذه هى كلمة القوم — وهؤلاء البشر الذين يعيشون مع بعضهم جاءهم الدين .. جاءهم رسول يدعوهم إلى الايمان بالله ، إذا آمنوا انتهت المشكلة من الناحية الدينية .

نخلص من هذا إلى أن القومية موجودة عند الجماعة من قبل الدين .. وبغض النظر عن الدين ، فهناك جماعات بشرية تعيش مع بعضها البعض .. هم قوم .. فيما تجدر الاشارة اليه حول هذا الصدد انه ليس بالضرورة أن يؤمن كل القوم بالرسالة التى بلغهم إياه نبى ما فتؤمن بها أمة واحدة ، أمتان ، أو يؤمن بها الناس كافة ، أو يؤمن بها عدد قليل من هؤلاء الناس ، لكن هذا لا يمكن أن يؤثر على الكيان الاجتماعى للقوم .

الاصالة لا تعنى التعصب

هنا تأتي الاصالة التى لا تعنى التعصب مادام تاريخنا مبنياً على هذه الأسس علينا أن نقيم هذه الأسس .

يعنى أننا عرب علينا ان نبنى القومية العربية،وبناء القومية العربية لا ينبغى أن يكون على حساب قومية أخرى والا الا وقعنا في المحظور . . أننا هنا ننادى بالاصالة وننادى بالتجـــدد . . قوميتنا وشخصيتنا في ذاك الوقت تكـــون حركتنا حركة انسانية .. المقصود بها بناء ركن من أركان الانسانية . . بناء أمة تساهم في حضارة الانسان . . في تاريخ الانسان . . ولا يكون هذا البناء على حساب بناء الآخرين طبعا .

هنا نستطيع أن نبعث الاصالة ونجددها . أى أن كلمة التجديد أو التجدد هى بالضبط تعنى أننا رأينا مرحلة من التاريخ ، وجدنا فيها أن هذه العوامل اعتراها ما اعتراها ، نريد أن نجددها من جديد على أسس أصيلة .

الاصالة تعنى الاصل . . نرجع إلى أصل الشىء أصل

تاريخنا متفاعل من قومية ودين . . وعلينا أن نبعث هذه العوامل ونصححها ونرسم لها المسارات الصحيحة التى تؤدى بنا للغايات الانسانية النبيلة دون أن ننحرف إلى يمين أو شمال حتى لا نقع في حدود الغير .

هذه فلسفتنا من حيث الاصالة والتجدد وهى التى جعلتنا نتكلم عن عوامل تحريك التاريخ التى لم تكن عوامل اقتصادية ، وبهذه الحجة نحن ندحض التفسير الماركسى للتاريخ إننا لا ندحضه بالمزاج ولكن بقراءة التاريخ . .

القومية العربية في القرآن

كانت حياة العرب في الجاهلية حافلة بالمتناقضات في شتى المظاهر الدينية والاجتماعية والأخلاقية :

— ففى مجال العقيدة كان أغلبهم من الوثنيين ، وعبَدة الأصنام وفريق منهم يعبدون الكواكب والنجوم ، وآخرون يعتنقون الديانات الواردة من الصين والهند وفارس .

— وكانوا يعيشون في قلق دائم ، ونزاع مستمر ، وكانت نيران الحروب بينهم تشتعل لأوهى الأسباب : فإحدى

هذه الحروب – مثلاً – كان سببها مقتل ناقة تملكها امرأة عجوز تسمّى البَسُوس وقد استمرت هذه الحرب أربعين سنة . وكان القوى يطغى على الضعيف ، والضعيف يتحالف مع غيره ليثأر لنفسه من القوى وكانوا يقتلون أولادهم خشية الفقر ، ويئدون بناتهم تجنباً للعار .

– وكانوا ينكرون على المرأة صفة الانسانية حتى انهم كانوا يشتركون في الزوجات ، وكانت النساء يتبرّجن . وكانوا يشربون الخمر ويلعبون الميسر ، ويأكلون أموالهم بينهم بالباطل ، ويسخرون من بعضهم البعض ويتنابزون بالألقاب وينهبون ويسلبون .

ويطول الحديث عن مظاهر الفساد في الجاهلية . ولكن لم يكن المجتمع العربي هو وحده الذى بلغ هذه الدرجة من الفساد والانحلال بل كان العالم كله قد وصل إلى هذه الدرجة في القرن السادس الميلادى قبل ظهور الاسلام .

وعلى الرغم من ذلك فقد كان العرب يتصفون بصفات حميدة فاشتهروا بالكرم والشجاعة والإباء والمروءة ونجدة

الملهوف وحفظ العهد والدفاع عن المبدأ . . . وهذه الصفات تجعل منهم مادة طيبة وصالحة لبناء مجتمع قوى متماسك ، فكانوا أهلاً لحمل رسالة الاسلام والنهوض بمسئولية الدعوة والتبليغ .

وقد جاء الاسلام رحمة للعالمين ، وأرسل رسوله هادياً ومبشراً ونذيراً ، يدعو إلى الحق :

في العقيدة « قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ ، اللهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ ، وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ »
— في العبادة « ذَلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وكِيل » .

— في المعاملة « كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ للهِ وَلَوْ عَلَى أنفُسِكُمْ » .

— في السلوك « فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ ، وَلَوْ كُنتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ».

ودعوة الحق واحدة ، وإن كانت لها صور وجوانب : فالدعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده في العبادة والاستعانة والدعوة إلى مكافحة الظلم والطغيان وإقرار العدل بين الناس ، وإلى تطهير النفوس والمجتمعات من مفاسد الأخلاق ونبذ الأمور الشخصية في سبيل الصالح العام والدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المُنكَر ، ونشر دين الله ، كما هو ، وكما أراده الله . هذه كلها دعوة إلى الحق ، والدعوة إلى الحق هى دعوة إلى الله ، لأن الله هو الحق .

وفضل الإسلام على العرب والعالم لا يتّسع المقام للإحاطة به ، ويكفى أن نعرف أنّه قضى على كل مظاهر الفساد في جوانب الحياة المختلفة وكان كتابُهُ دستوراً يهْدى للتى هى أقوم .

وقد جعل الإسلام من العرب أمة ذات كيان حضارى باق إلى الأبد وكانوا أهــلاً لبناء مجتمع مسلم قوى متين يحمل أمانة الاسلام

ولما انتشرت الدعوة الاسلامية وامتدت الفتوحات

الاسلامية تحت راية العرب شرقاً وغرباً ، وتجسد للأمة العربية كيان حضارى باق إلى الأبد ، ثار الحقد في نفوس الأعاجم والمستعربين من الفرس والروم واليهود وغيرهم ، ولما كانوا يعرفون أن مصدر قوة العرب هو كتاب الله : فقد بدأوا يتآمرون عليهم ، ويحاولون غزوهم فكرياً .

وكان أول هدف لهم هو طمس وتدمير المعنى القومى للأمة العربية في القرآن الكريم ، ثم عملوا بعد ذلك على تفتيت الأمة العربية ، عن طريق الحركات الشعوبية والاقليمية التى ظهرت بين المسلمين في فترات ضعف الدولة العربية الاسلامية وقد ظلت هذه الحركات تختفى حيناً وتظهر حيناً آخر ، واتخذت أشكالاً تنظيمية مختلفة ، لكن هدفها جميعاً كان محاولة تفتيت الأمة العربية وضرب قوميتها وتجمّعها القائم على وحدة اللغة والعادات والتاريخ . . .

والجذور الأولى لهذا الاتجاه نجدها في موقف الخوارج ، من الصراع الذى نشب على الخلافة بين على ومعاوية ، فقد انتهز الخوارج فرصة هذه الخلافات ورفعوا شعاراً بأنّه لاحق للاثنين في الخلافة لأن الحكم لله . ولا ننكر أن

الحكم لله، ولكنهم لم يكونوا مخلصين في رفع هذا الشعار وإنما كانوا يهدفون إلى إزاحة العرب عن موقع الخلافة الاسلامية ولذلك تلقّف هذه الدعوة الشعوبيون والحاقدون من الأقلّيّات الأخرى غير العربية التى دخلت في الاسلام للتشكيك والتهديم .. تلقّفها العجم والكردستان والتركمان والأرمن وغيرهم .

ورغم أن حركة الخوارج بدأت تحت شعار الحرص على الاسلام إلا أنها سرعان ما تحولت إلى تجمع عنصرى شعوبي بسبب انتماء غير العرب من المسلمين إليه وإسهامهم في تغذية النزعات الاقليمية والشعوبية في تبديد جهد الأمة العربية وتعويق مسيرتها الحضارية والتى أفضت فيما بعد إلى صراع النحل والمذاهب والملل التى فرقت الأمة العربية الاسلامية وأتاحت لأعدائها أن ينقضّوا عليها .

وأن حركة الاخوان المسلمين في العصر الحديث هى امتداد طبيعى للحركات الشعوبية الحاقدة على الأمة العربية والقومية العربية ، فقد قامت تحت نفس الشعار وهو ادّعاء

الحرص على الاسلام ، وتحت هذا الشعار هاجمت القومية العربية وافتعلت صراعات شعوبية كثيرة باسم التحرك داخل إطار الاسلام وبدأ الأمر وكأن هناك تصادماً بين القومية العربية وعالمية الاسلام .

— ان العلاقة بين الأمة العربية كقومية . . والاسلام كرسالة إنسانية علاقة عضوية وثيقة . . الأمة العربية هى التى حملت رسالة نشر الاسلام في أرجاء الأرض لبنى البشر جميعاً ، وهى لم تصبح مؤهلة لهذه الرسالة الخالدة إلا عندما توحدت تحت راية الاسلام .

— ان أى هجوم أو تفتيت أو إضعاف للأمة العربية هو في حقيقته إضعاف للمسلمين جميعاً في مشارق الأرض ومغاربها ، لأن الاسلام لم ينتشر إلا بأبناء الأمة العربية .

— انه ، وهذه نقطة تاريخية غاية في الأهمية ، بينما نجد الجذور البعيدة لحركة الاخوان المسلمين تمتد إلى الشعوبية القديمة للعجم وغير العرب فإننا نلاحظ أن البذور التكوينية الأولى للحركات الشيوعية ترجع إلى الأقليات . والذين

أدخلوا الشيوعية إلى الوطن العربي كانوا من الأرمن والتركمان واليهود وكانت هذه العناصر تنشط بدافع من كونها تمثل بالأساس تجمعات نسبية وعليه فانهم معاً سواء أكانوا من الاخوان المسلمين أو الشيوعيين ينتمون إلى هذه الأحزاب بدافع تحقيق وجودهم إذ أنه من خلال الأممية تتحقق لهم المساواة فالشيوعيون إذن لا ينطلقون من منطق التقدمية أو بسبب « البروليتارية » والعمال ، وإنما بسبب التوحيد الأممى الذى يؤمن للأقليات الشيوعية حقوقها في الحكم وفي تولّي المسئوليات لأن الشيوعية تسمح بذلك . وبهذا يتضح أن الأقليات استثمرت الصراع على مستوى حركات التاريخ لغاياتها وليس حباً في فكر إسلامى أو شيوعى . وإنما كملجأ للدفاع عن الأقلية .

— انّه ليس هناك أى تناقض بين مفهوم القومية العربية وبين مفهوم الاسلام ، ويؤكد هذه الحقيقة بالذات أن رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم — كان إماماً للقومية في مثلها الأعلى ، ورسولاً للانسانية في قدوتها الحُسنى . فقد كان صلى الله عليه وسلم راضى النفس بعروبته ، يحمد الله

لأنّه ولد يوم أعز الله العرب ونصرهم على دولة الأكاسرة، وكان يحب قومه، ولايحب مَن يكرههم ، فلا يكره العرب إلامنافق ، ولا يخلص في عقيدته من لا يخلص في رعايتهم وعرفان حقهم . وقد كان سلمان الفارسى صفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومشيره ، قال له الرسول يوماً : « يا سلمان ! لاتبغضنى فتفارق دينك » قال سلمان رضى الله عنه : « كيف أبغضك وبك هدانا الله ؟ » قال صلى الله عليه وسلم : « تبغض العربَ فتبغضنى » . وفي حديث رواه عثمان بن عفان رضى الله عنه : « مِن غَش العربَ لم يدخل في شفاعتى ولم تنلْهُ مودتي » .

وهذا غاية ما يبلغه الشعور بالقومية لدى أى انسان : أن يحب قومه ويحب أن يحبهم الناس .

القومية العربية هى الشعور العام الذى يجمع بين أبناء الأمة العربية نتيجة لانتمائهم إلى هذه الأمة وامتيازهم بخصائص معينة وأصيلة ، لا يشاركهم فيها غيرهم : كاللغة ، والعادات ، والتقاليد ، والتاريخ ، والتراث . والآمال ، والأهداف . . وغير ذلك .

والعرب كانوا أمة متميزة عن الأمم الأخرى من قبل نزول القرآن .

ويأتي تأكيد القومية العربية حاسماً في قول الله تعالى :

« فاستمسكْ بالذى أوحِيَ إليكَ انّكَ على صراط مستقيم . وانّهُ لذكْر لكَ ولِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تسْألونَ »

(الزخرف : ٤٣ و ٤٤)

ونزول القرآن في منطقة بعينها ، وهى أرض العرب ، على أمة بعينها ، هى أمة العرب وبلغة العرب :

« وَانّهُ لتَنزيلُ رَبِّ الْعالَمينَ نزل بِهِ الرُّوحُ الأمينُ عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ منَ المُنْذرينَ بِلِسان عَرَبى مُبين »

(الشعراء : ١٩٢ — ١٩٥)

« كِتابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عربِيّاً لِقَوْمٍ يعْلَمُونَ » .

(فصلت : ٣)

« إنّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لعَلّكُمْ تعْقِلُونَ » .

(الزخرف : ٣)

— كل ذلك دليل على أن الله اختار الأمة العربية ، بل كرمها بحمل رسالة الاسلام ونشر دعوته ، وهى لهذا كانت خير أمّة أخرجَتْ للنّاس » .

والآية الكريمة « كُنتُمْ خَيْرَ أمّةٍ أخْرجَتْ للنّاس» تخاطب العرب ، ولا أحد يستطيع تفسيرها بأنها لكل المسلمين ، لماذا ؟

— هناك أمم يبعث منها رسل ، وأمم لا يخرج منها رسل ، والأمة العربية هى الأمة التى خرج منها الرسول عليه السلام

— وخروج الرسول في هذه الأمة يجعلها خير أمة .

وهذه الأمة لها رسالة عليها أن تحملها لمن حولها من الناس ، لأن الدعوة انتشرت بها .

ولا يترتب على كون العرب هم خير أمة أخرجت للناس أن تكون لهم أية حقوق أو امتيازات خاصة بهم دون غيرهم في قوانين الاسلام وحدود الله : « يَا أيُّهَا النّاسُ إنّا خَلَقْنَاكُم من ذَكَر وَأنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إنَّ أكْرَمَكُمْ عِندَ اللهَ أتْقَاكُم» (الحجرات : ١٣)

بل يتوجب على كونهم خير أمة أخرجت للناس أن تتضاعف المسئولية عليهم في التمسك بالدين ، والدفاع عنه بالعلم والقوة ، وأن يكونوا قدوة لغيرهم من الأمم في تطبيق شريعة السماء ، وإقامة مجتمعهم على أساس من الحرية والعدل والتراحم وسائر المبادىء والقوانين التى قررها الاسلام (وامرهم شورى بينهم) .

« وكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاس وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً » .

(البقرة : ١٤٣)

ويتوجب على الأمة العربية أن تحقق بالوحدة عزتها وقوتها ، لأن الوحدة العربية – هى تحقيق لوحدة أكبر ثقل إسلامى على الأرض .. لأن الأرض العربية هى القلب وهى أرض الوحى ، وهى أرض الرسالات . ومن هنا فإن مفهوم القومية العربية لا يتناقض أبداً كما يدعى المشككون والرجعيون مع مفهوم الاسلام ووحدة الأمة الاسلامية .

هكذا تنسجم حركة القومية العربية مع حركة الدعوة الاسلامية بحيث يكون الاسلام روحاً والعروبة جسداً ووعاء ، وهكذا كان العرب جنوداً للإسلام من أيام النبي عليه الصلاة والسلام . ولم يكن هناك أى تناقض أو تصادم بين القومية العربية والاسلام أبداً .

الوحدة العربية تعنى الرجوع الى الاصل

الوحدة هى قضية الوجود .. وجودنا كله ، وهى قضية المصير للأمة العربية الواحدة ، فإما أن نكون أو لا نكون ، إما البقاء وإما الفناء . ولا بقاء ولا تقدم ، ولا تحرر ، ولا تنمية ، ولا انتصار على أعدائنا ، ولا عزة ولا كرامة ولا قوة ولا عيشاً كريماً ولا أمناً إلا بالوحدة العربية الشاملة .

وقد طرحت ثورة الفاتح شعار الوحدة العربية كهدف تلتقى مع الأقطار العربية حوله ، ولا تلتقى معها حول أى شيء آخر سواه ، ما دامت لا تعمل من أجل تحقيقه أو تعوق تحقيقه .

ذلك لأن الوحدة هى أساس تحقيق آمال هذه الأمة وبدونها لا يمكن الوصول إلى هذه الآمال ، بل أن كل المنجزات والمكتسبات الثورية والايجابية الإقليمية تصبح معرضة للضياع في غيبة الوحدة ، وأى تحقيق لهذه المكاسب

في أى قطر من الأقطار ، إنما هو إنجاز جزئي ومحدود ، بل إنجاز قزمى في حقيقة الأمر وواقعه .

وبالرغم من كل هذا الضجيج الذى تتصايح به أجهزة الاعلام الاقليمية في كثير من الأقطار العربية عن منجزاتها وتجربتها الخاصة فإن ذلك في حقيقته ضرب من الأوهام الضالة ، والمضللة ، لأن القوة الحقيقية هى بغير شك قوة العرب جميعاً . ولا أمان ، ولا ضمان ، ولا ثقة ، ولا مكانة لأى شيء قطرى ما دام هذا الشيء يرسخ الإقليمية ويغذيها .

ان الذين يتحدثون عن الاقتصاديات والطاقات والإمكانيات والنصر ويغفلون عن الوحدة العربية والأمة العربية الواحدة ، والوطن العربي الواحد إنما يسبحون في الأوهام ، والطريق هو توحيد الأمة العربية ، وتوحيد أداتها السياسية وبناء الدولة العربية الواحدة .

ولن يغفر التاريخ أو الشعب العربي ، الجريمة التى ترتكبها أنظمة الحكم العربية الراهنة بتقاعسها عن السير

نحو الوحدة الشاملة ، فإن المصلحة الحقيقية لكل قطر عربي لن تكون إلا في الوحدة الشاملة .

أما الحكام الإنفصاليون والإقليميون الذين لا ينظرون إلى أبعد من أنوفهم ويحافظون على مصالحهم الشخصية فهم خونة لشعوبهم ، وخونة لأمتهم العربية وهم متروكون لشعوبهم لتقوم بمسئوليتها وفرض الوحدة عليهم .

وبالرغم من وضوح هدف الوحدة ، وتعلق الجماهير العربية بها ، إلا أنه ليس هناك غاية أو هدف تجمع ضده المتشككون والاستعماريون والرجعية وأثاروا حوله الضباب مثل هذا الهدف الواضح ، حتى بات الكثيرون يكتفون عن العمل من أجل الوحدة بالكلام عن الوحدة وضرورتها ، بينما في السلوك نجد التقاعس عن خوض معركة الوحدة بل محاربة الوحدة والتشكيك فيها .

يقول قائد الثورة في ذكرى معركة الهاني التى خاضها الشعب العربي الليبي ضد جحافل الفاشست الايطاليين .

« نريد أن نقول إن الذين يبنون امبراطوريات وهمية

داخل الوطن العربي، إن الذين تغريهم اللحظة التى يعيشونها الآن . . ان الذين يعتقدون أنهم يبنون كراسى وعروشاً داخل الوطن العربي على حساب الوحدة العربية ، والذين يريدون أن يعيشوا داخل دويلات صغيرة في الوطن العربي . ان الذين يعملون ذلك ، إنما يحرثون في البحر ، وهم واهمون لأنهم يتحولون أمام الاستعمار إلى قصاصات صغيرة من الورق في مهب تيار قوى . . ان الذين يعتقدون انهم يبنون صوجانات الحكم وكراسى الرئاسة وعروش الملكية على حساب الوحدة العربية ، واهمون مضللون ومضللون ، لأنهم يضللون شعوبهم ، ويضللهم الإستعمار ، هذه حقيقة نستخلصها من عبر التاريخ ومن دروسه المستفادة ومن معركة الهاني ومن كفاح الشعب الليبى » .

وهذه الازدواجية التى تعيشها الأنظمة العربية لخداع الجماهير لا يمكن أن تدوم طويلا ، ولابد أن تنقلب عليهم ، يعلنون إيمانهم بالوحدة ، إيماناً لا يتجاوز حناجرهم ، ويعملون ضد هذا الوحدة في كل خطواتهم ، هذه هى حالة الانفصام التى تعيشها غالبية الأنظمة العربية .

ودور القوة الثورية الوحدوية المؤمنة بهدفها والصادقة مع نفسها أن تناضل لتخلص الأمة العربية من حالة الإنفصام هذه ، وأن تفرض الوحدة ، وأن تكشف أعداءها وأداة نضالها ، الجماهير العربية . وذلك بأن تعمق الوعى والفهم بحقيقة الوحدة وضرورتها وحتميتها ، حتى لا تنطلى عليها الاعيب المتشككين والرجعية العربية والإستعماريين الذين يعلنون عليها حرباً شرسة ومريرة ، حرباً نفسية وحرباً فعلية ، بالإشاعات والإفتراءات والتضليل والفتن حتى تغيب الجماهير العربية عن واقعها وضرورة وحدتها .

وبدلا من أن تتحد الأمة العربية لتقاتل عدوها ، تظل ممزقة وضعيفة وأجزاء متناحرة ، وبالتالى تصبح الأمة العربية كلها بثرواتها وامكانياتها عرضة للضياع وفريسة سهلة للأعداء .

وقد تكالب أعداؤنا وتكاتفوا على محاربة الوحدة والتشكيك فيها والتركيز على السلبيات ، حتى يفقدوا

الأمة العربية الثقة في نفسها وفي ذاتها ، وحتى يثبتوا أن الوحدة هدف بعيد وحلم صعب التحقيق ، وهم يستغلون في هذه الحملة الموجهة ضد الأمة العربية الرواسب الإستعمارية والحساسيات الإقليمية التى عملوا على خلقها وتضخيمها .

ولطول خضوع أقاليم الأمة العربية وأقطارها المختلفة للاستعمار تصوروا أنه من الممكن لكل قطر أن ينسى حقيقته كجزء من أمة واحدة ويعتنق الفكرة الإقليمية التى أشاعوها ، وهى أن لكل قطر عربي أمة واحدة مستقلة عن الأمة العربية .

يقول قائد الثورة :

« هناك اليوم عملاء للاستعمار الحديث . هناك عملاء لروسيا ، وعملاء لأمريكا ، وعملاء لبريطانيا . وعملاء لدول الإستعمار من الشرق والغرب ونحن في إعتقادنا أن أول العملاء وأول المؤيدين للاستعمار وأول المتآمرين على حرية شعوبهم هم الذين يتمسكون بمناصب الحكم

وبكراسى الحكم وبالعروش على حساب الوحدة العربية ، هؤلاء هم أول الخونة وأول العملاء .

وعليه عندما تنطلق الأمة العربية على طريق الوحدة العربية لابد أن تدوس على العملاء أولا . . ولابد أن تحطم المعوقات الداخلية التى تتمثل في محبى الرئاسات ومحبى الحكم ، وتتمثل في الحدود المصطنعة وتتمثل في الإقليمية والإنفصالية » .

إن على القوة الوحدوية أن تكشف كل هذه المواقف الإقليمية وترد الأمور إلى حقيقتها ، وتناضل من أجل إسقاط الإقليميين والإنفصاليين . والنضال من أجل الوحدة الجماهيرية الشاملة التى فيها السلطة والثروة والسلاح بيد الشعب العربي ، هذه الأطروحات التى تراود الملايين وتحرك فيها روح القتال من أجل الوحدة ونضال يومى مستمر وان التعريف بالوحدة العربية وضرورتها وفائدتها وحتميتها تعريفاً علمياً وواقعياً وملموساً حتى نربط الجماهير بالوحدة بإعتبارها حجر الزاوية في تحقيق آمالهم وأمانيهم ،

وهذه من واجبات اللجان الثورية في جميع أنحاء الوطن العربي .

والقاء الضوء على المواقف الانهزامية ، وألوان التشكيك التى يروج لها كل يوم وكل ساعة أعداء الوحدة من قوى الإستعمار والرجعية ، ومواجهة الحرب النفسية التى يشنونها ضدنا في الإذاعات والصحف الأجنبية، وعن طريق عملائهم المنبثين في كل مكان . وكذلك القضاء على كل مظاهر الإقليمية والإنعزالية النابعة عن قصر النظر وضيق الأفق وقلة الوعى ، التى تجعل الكثيرين مهيئين لأن يكونوا أرضاً خصبة لنشر الأكاذيب والأضاليل ضد الوحدة .

ولذا نرى أنه من اوكد واجباتنا أخذ الحيطة والحذر ، فحيلهم معروفة ويمكن تحديد الخط الذى تتحرك فيه حربهم ضدنا في إيجاد وتعميق التناقض بين المصلحة الوطنية الموقوتة لكل قطر ، وبين ما تمليه المصلحة القومية الشاملة .

وهم يستغلون ضعف الوعى لدى المواطن العادى ،

فيلعبون على وتر المنفعة الضيقة لكل قطر ، ويطمسون المنفعة والمصلحة العربية الواسعة ، أى المنفعة المستنيرة التى تعود على الأقطار العربية وكل فرد عربي في ظل الوحدة العربية وبسببها .

هذا إذا قيست الأمور بمقياس المنفعة وحده ، وان كانت قضية الوحدة أعمق من هذا لأنها قضية المصير والوجود والشخصية العربية الأصيلة والكيان كله ، فإنه لا منفعة ولا تقدم لأى قطر من الأقطار ، أو أى إقليم من أقاليم الوطن العربي إلا في الوحدة وفي ظل الوحدة :

وبالتالى لا يمكن لأى دويلة عربية أن تبنى تقدماً إقتصادياً حقيقياً لأنه سيظل تقدماً قزمياً . أما بالوحدة العربية الشاملة فإنه يصبح من المتيسر إقامة قوة إقتصادية وسياسية وإجتماعية وعسكرية هائلة في العالم ، لها رصيدها الحضارى الضخم الممتد عبر ماض مجيد ، ولها إمكانياتها ، وثرواتها العظيمة التى يستفيد بها العدو الآن في صنع تقدمه أكثر مما يستفيد بها أصحابها . فثرواتنا الآن تشكل العصب

الحساس في بناء صرح التقدم الحالى لأوروبا وأمريكا ومن ثم فهم يحرصون على أن نظل مفتتين مجزئين حتى يتمكنوا منا ومن ثرواتنا .

إن أعداء الوحدة من القوى المضادة ، قوى الإستعمار العالمى ، بزعامة الولايات المتحدة الامريكية والصهيونية ربيبة الإستعمار ورأس رمحه في وطننا العربي الى القوى العالمية الأخرى التى تود أن تظل محتكرة القوة في العالم ، والتى تعمل دائبة على أن لا تبرز إلى الوجود دولة قوية ذات إمكانيات وطاقات كبرى تمتد من الخليج إلى المحيط ، فإن ظهور هذه القوة الشابة في قلب العالم سوف يغير حقاً ويقيناً من موازين القوى العالمية التى يحرصون على أن تظل قائمة لصالحهم وهذه المجموعة من القوى المضادة للوحدة هى من أخطر المجموعات لأنها تساند وتتحالف مع القوى الأخرى وتستخدمها لتحقيق مصالحها .

وهناك أيضاً القوى الرجعية والاقليمية التى تعادى التقدم وتقاوم وحدة الشعب ، وتشكك فيها حفاظاً على

امتيازاتها ومنافعها الاقليمية ، وحتى تتمكن من الاستغلال غير المشروع . وهى لاتتورع في سبيل الحرص على امتيازاتها واستغلالها أن تتحالف مع الاستعمار . وهذه القوى تعمل بدأب وتخطيط وحرص على ضرب الوحدة والترويج للاقليمية تحت شعارات براقة مزيفة وهم يستغلون في سبيل ذلك كل ما يمكن استغلاله لتثبيت الروح الانفصالية وابراز الكيانات الاقليمية والمصالح الذاتية المؤقته متناسين حقيقة الأمة العربية الواحدة .

وهم يعملون على إيجاد تناقضات مفتعلة بين المصلحة الاقليمية والمصلحة العربية ، وأحياناً يغلفون هذه الروح الاقليمية تغليفاً عقائدياً ، كما نرى في كثير من الأقطار العربية عندما تتحدث عن تجربتها القطرية الخاصة والمتميزة ، وغير ذلك من الصور العديدة التى تتخفى وراءها القوى الاقليمية من المخدوعين ذوى النظرة الضيقة التى يغطونها بالحماسة الزائفة للوطنية الاقليمية وينجرفون وراء أعداء الوحدة الذين يضربون على وتر حساس ، خلاصته أن

الأجزاء الفقيرة من الوطن العربي تطمع في أن تشارك الأجزاء الغنية في ثروتها الطائلة وخاصة الثروة النفطية .

وهؤلاء المخدوعون ينسون أن درع الثروة العربية في أى قطر عربي هو في الوحدة العربية الشاملة وحدها ، وأنه بدون هذه الوحدة فان أى ثروة اقليمية معرضة للضياع ، وأن الولاء للوطن بمعناه الواسع ، هو الولاء للوطن العربي والقومية العربية .

وبالرغم من شراسة كل هذه القوى المعادية للوحدة فان كشف تلبيساتها وفنون أضاليلها ، ليس عسيراً ولن تستطيع أن تنال من صلابة الأمة العربية وعزمها على تحقيق وحدتها . ودور القوة الثورية الوحدوية هو التصدى لهذه القوى وإحباط مخططاتها التشكيكية بل إن حملات العداء لنا ولابد وأن تكون دافعاً لنا للاسراع في تثبيت الخطى الوحدوية وحمايتها والحفاظ عليها .

يقول قائد الثورة :

« عندما نندفع بقوة في طريق الوحدة العربية فأننا لا

نريد من ذلك أن نرضى عواطف ، ولا نريد من ذلك أن نعود إلى الوطنية لأننا نحن للعودة، ليس فحسب ولكن لأن الوحدة العربية هى الحماية للحرية ، والوحدة العربية هى الدرع القوى الذى يحمى استقلال الوطن العربي ، والوحدة العربية هى القلعة الحصينة التى تحمى داخلها الأمة العربية ، والوحدة العربية هى الملاذ كل الملاذ ضد الاستعمار وضد الطامعين » .

وتجدر الاشارة إلى أن هناك تشكيكاً منظماً ومدروساً ضد كل مايتصل بالوحدة العربية حتى وان كان من البديهيات ! فهناك من يشككون في وجود أمة عربيةواحدة ! ،بل ينكرون أن هناك أمة عربية ! . والعجب أن الذين يصدرون هذا التضليل إلى حوارييهم وعملائهم في الوطن العربي بيوتهم من زجاج ، فقد اصطنعوا لأنفسهم وحدة من أكثر من عشرين قومية متباينة .

إنهم يقولون لعملائهم المنتسبين إلى الأمة العربية « لا يجوز الكلام عن الأمة العربية وكأنها قد أتمت استكمال

تكوينها » كما يقولون « إن الأمة العربية هدف لأنها في طريق استكمال تكوينها » .

وهؤلاء الذين يصدرون لعملائهم هذا الكلام ليسوا جهلة لأنهم يعرفون أن الأمة العربية كوحدة متميزة وكيان سياسى ، موجودة قبل أن تعرف بلادهم شيئاً اسمه الحضارة. بل إن أجزاء من بلادهم كانت جزءاً من العالم الإسلامى الموحد الذى كان ثقله هو الوطن العربي . فالأمة العربية ليست أمة في طور التكوين ، وإنما هى موجودة فعلا بكل مقوماتها قبل أن يعرف العالم الحديث عصر القوميات في القرن التاسع عشر .

وإذا كان الشعور القومى بمعنى الاحساس بالانتساب إلى أمة والاعتزاز بهذا الانتساب قد نما في أوروبا وعرفته في أقطارها المختلفة في القرن الثامن عشر والتاسع عشر فإن الشعور القومى والاحساس والفخر بوجوده قد عرفه العرب منذ أزمان سحيقة قبل العصر الاسلامى ، ثم تبلور هذا الشعور بعد الإسلام ، ومثلت المنطقة العربية مركز الثقل في هذا العالم الاسلامى .

ومع رسوخ وحدة اللغة ، رسخت وحدة الثقافة والتراث الاسلامى العربي المشترك ، فالأمة العربية كانت وما زالت هى مركز الثقل للعالم الإسلامى . والأمة العربية نتيجة للتاريخ الواحد والآلام والمصائر الواحدة واللغة الواحدة والدين الواحد والثقافة الواحدة ، والمعيشة الاجتماعية الواحدة ، والمعاملات الاقتصادية الواحدة ، صارت كياناً مستقلا متميزاً يشعر أهله بإحساس واحد ، ونما بينهم منذ أكثر من ألف عام تعاطف متبادل وإحساس عميق وأصيل راسخ بأنّهم أمة واحدة ، ذات جوهر وكيان واحد ، شكله تراثهم الاسلامى . فأنا . . وأنت .. وهو . . سواء كنا في المكّلا أو في أغادير ، عرب . . نحن الذين نعيش في المنطقة الممتدة من الخليج العربي إلى المحيط الأطلسى ، وطننا يمتد في رقعة كانت وما زالت هى قلب العالم من الخليج في الشرق إلى المحيط في الغرب .

ووطننا العربي هذا يزيد طوله من الخليج حتى المحيط عن ٦٠٠٠ كيلومتر ويتراوح عرضه من الشمال إلى الجنوب بين ١٩٠٠ كيلومتر في شمال إفريقيا و٣٠٠٠

كيلومتر في شرق أفريقيا وغرب آسيا . وتبلغ مساحته حوالى ١٢ مليوناً من الكيلومترات المربعة ، وهي مساحة هائلة تزيد على مساحة قارة أوربا كلها وتزيد أيضاً على مساحة الولايات المتحدة الأمريكية وتبلغ حوالى نصف مساحة الاتحاد السوفيتي .

ووطننا العربي ، يمتد في قارتي أفريقيا وآسيا ، ويمثل الوطن العربي الافريقى ٧٢٪ من مساحته ، كما يمثل الجزء الآسيوى ٢٨٪ من هذه المساحة . وليبيا تحتل مكان القلب من الوطن العربي ، وتتوسط شمال افريقيا .

ومن هنا ، ونظراً لموقع ليبيا من الوطن العربي فقد حاول الإستعمار الأوربي والإستعمار العالمى في العصر الحديث أن يوقف وظيفة هذا القلب كعضو نابض ومحرك في صميم الوطن العربي . وأراد له أن يكون إقليماً عازلا لعوامل الوحدة في الوطن العربي ، وإقليماً معزولا عن الوطن العربي ، وإقليماً حاجزاً وفاصلا بين جناحى الوطن العربي في المشرق والمغرب .

وجاءت ثورة الفاتح من سبتمبر فأسقطت كل الحسابات والتخطيطات الإستعمارية ، وأعادت ليبيا جسراً يربط شطرى الوطن العربي وقلباً ينبض بالدم الوحدوى ، ويضخمه في شرايين الوطن العربي من خليجه إلى محيطه ، ومن ثم بات الأمل وشيكاً في تحقيق الوحدة العربية الشاملة . وهذا هو دورنا التاريخى أن نكون جنوداً في بناء صرح الوحدة ، وحدة أمتنا الواحدة .

وأنا وأنت وكل عربي ، نشعر بإخوة لنا في هذا الوطن الكبير ، وسواء كنت في طرابلس فأنت تحس بإحساس أخيك في دمشق وبغداد والقاهرة . ولا يفترق من يعيش في فاس أو سبها أو مكناس عن أخيه هناك في حضرموت أو الحديدة أو عدن أو حلب أو صنعاء . . هناك رابطة طبيعية متميزة تشدنا جميعاً إلى بعضنا البعض . ولا يمكن لفرد منا أن يتخلى عنها إلا إذا تخلى عن قومه وأصله وذاته وتحول إلى ذرة عالقة في الهواء لا أصل لها ولا شكل .

ومع هذا فإن العربي يظل عربياً في أى مجتمع آخر لأن الآخرين ينظرون إليه على أنّه عربي . فنحن عرب ، أمة واحدة ، أنا وأنت وهى عرب ، لأنّنا أبناء هذه الأمة ، ولا يمكننا إلا أن نكون عرباً ، ونحن فخورون بأنّنا عرب لنا مجدنا ولنا تاريخنا ولنا رسالة في الحياة حُمِّلناها ، فكنا رسل حضارة ومعلمى للعالم .

يقول القائد عن العرب خلال الإستعمار التركى لوطننا :

«لم يرض العرب أن يعيشوا عثمانيين أو كمواطنين عثمانيين ، بل رفضوا هذا الانضواء أو الإنتماء الغير طبيعى ، وأعلنوا القومية العربية بأن العرب عرب والعثمانيين عثمانيين . وتكونت الحركات القومية لإبراز الشخصية العربية عن الدولة العثمانية ومعروف كيف قوبلت هذه الحركة في نظر العثمانيين ونظر الحكام . ونُكل بالقوة الثورية ، وشهدت بلاد الشام عامة على يد جمال السفاح مجازر رهيبة للرعايا وللشهداء العرب ، فكانوا يعتقدون أنها حركة شعوبية لكنه في الواقع إحساس نفسى عند العربي أنّه ينتمى إلى أمة عربية عظيمة هى خير

أمة أخرجت للناس . فيشعر بالتفاهة إن هو تنصل من هذه الصفة ، ولم ينتم إلى هذه الأمة أو عاش متطفلا على غيره من الأمم . هو إحساس نفسى طبيعى دفع أناساً كثيرين لتقديم أنفسهم للمشانق في سبيل أنهم يحسون بأن هذا شيء طبيعي وما عداه شيء غير طبيعي » .

ونحن العرب وإن كنا قد نكبنا في العصر الحديث بالتخلف والتمزق نتيجة لعوامل عديدة على رأسها الإستعمار ، فإننا نخوض الآن قدرنا ونبنى حياتنا من جديد ونعيد دورنا في الحياة . ونحن نحس في ذلك بلذة الجهاد والعمل والبناء . وإذا لم نكن عرباً لوددنا أن نكون عرباً ، فنحن أمة الرسالات ، أرضنا هى أرض الأنبياء وسماؤنا هى مهبط الرسالات .

نحن عرب . . تاريخنا واحد ، وديننا واحد ، ولغتنا واحدة ، وهمومنا واحدة ، بل مشاكلنا واحدة ، عاداتنا وتقاليدنا مشتركة ومتقاربة سواء كنا من تازربو أو المكلا ، ويطربنى ما يطرب أخى في صنعاء أو عمان ، ويشقينى

ما يشقيه . ويشدني ما يحدث في اللاذقية في أفنى وينبع ، لحج أو حماه .

وحين ضُربت لبنان اهتزت الجماهير في الرباط والكويت ، في طرفاية واللاذقية . . وخرجت الجماهير في بنغازى وطرابلس كأن العدوان عليها هى ، فلم يكن العدوان على لبنان فقط وانما كان على كل أرض عربية .

وعندما استشهد عمر المختار كان لاستشهاده رنة الألم العميق في النفس وحقد على البربرية الفاشية ، في القاهرة وفي دمشق وفي بغداد وفي كل أرض عربية . فالحدث في أى بقعة من الوطن العربي يهتز له الشعب العربي في كل مكان من الأرض العربية .

وهذا تأكدت الحقيقة ظاهرة هى وحدة الإنتماء إلى أمة واحدة تتفاعل وتنفعل تفاعلا وانفعالا واحداً ، ولا غرو ! فالدم الذى يجرى في عروقنا واحد هو دم العروبة الطاهر ، والوطن الذى نعتز بالإنتساب إليه هو وطن واحد ، والتاريخ والحضارة التى تشكل نظرتنا للحياة تاريخ واحد

وحضارة واحدة . أبطالنا وأعلامنا التاريخية ، وحكمنا وأمثالنا وأحلامنا واحدة .

تاريخنا هو التاريخ العربي ، المصابيح الفكرية التى نهتدى بها مصابيح واحدة ، لنا كتاب واحد نهتدى بهديه هو كتاب الله ، وسيظل هادياً لنا إلى يوم القيامة . وكان لنا سيف واحد ضد عدو عروبتنا وإسلامنا ، وعندما إستطاع أعداؤنا من الإستعماريين تفتيت هذا السيف وتجزئته تمكنوا منا .

نحن أمة واحدة ، حتى من قبل أن تعرف المدنيات الحديثة فكرة الأمة ، ولسنا بحاجة إلى أن نتحدث عن الأمة العربية وقوميتها العربية حديث الغربيين الذين يتناقشون حول عوامل القومية ومقوماتها اللغوية والإجتماعية والدينية والتاريخية والإقتصادية والنفسية والبيئية ، وأى من هذه العوامل أهم من العوامل الأخرى ، وأيها يعتبر المقوم الرئيسى للقومية العربية .

ولندع الغربيين يتجادلون حول النظرية القومية وعوامها

ولن نقيس قوميتنا العربية بهذه القوميات الأوربية المحدثة ، وان ننسخ ما يقولونه عن قومياتهم لنطبقه على قوميتنا العربية . لأننا لو فعلنا ذلك لكنا مخطئين في حق أنفسنا وقوميتنا ، ذلك أننا أسبق منهم وأعرق في الإحساس بالرابطة القومية وفي صنع الحضارة وتقديمها للعالم الإنساني .

وحضارتنا ترتكز على أسس ثابتة راسخة ومغايرة ومتميزة عن الأسس والإتجاهات الغالبة في الحضارة الغربية سواء كانت في المعسكر الشرقي أو الغربي . وإننا لا نبحث الآن عن إقامة دولة الوحدة كتعبير وتجسيد لشعورنا القومى المستحدث ، وإنما نحن نعيد دولة الوحدة التى كانت قائمة في وطننا حتى جاء الإستعمار الحديث فإحتل أرضنا ومزق أمتنا ، وخلق الحدود المصطنعة وفتت جمعنا إلى دول ودويلات بلغت اليوم ثلاث وعشرون دولة .

وإذا كان الإستعمار قد رحل عن كثير من الأرض العربية إلا أنه ترك الإنفصال والتجزئة وغذاهما وساعد على إستمرار الخريطة الإقليمية للوطن الواحد .

وتشبث معظم الحكام العرب في معظم الأقطار العربية بهذه الخريطة ، حفاظاً على مصالحهم وعروشهم وراحوا يكرسون هذه الخريطة التي رسمها الإستعماريون . وشغل أهل كل قطر بقضيتهم الخاصة سواء في مرحلة الإحتلال الأجنبي أو المرحلة ما بعد التي تلت ما يسمى بالاستقلال .

ففي مرحلة الإحتلال كان شعب كل إقليم يناضل للتخلص من المستعمر ومن ثم فهو يعتبر الحصول على الإستقلال هو قضيته الأولى ناسياً أنه جزء من وطن واحد ، إقتسمه المستعمرون من الانجليز والفرنسيين والإيطاليين والأسبان . وأنه لم يفقد استقلاله ويحتل إلا لأن الأجزاء الأخرى من الوطن الواحد قد فقدت استقلالها واحتُلَّت هي الأخرى .

يقول القائد :

« أيها الإخوة : أول ما جاء الإستعمار ليحتل الوطن العربي ، لم يأت الطليان لإحتلال ليبيا فقط تاركين العالم العربي ، لم تأت إيطاليا وحدها واحتلت ليبيا . هذا هو الذي يجب أن نفهمه لأن فيه درساً مستفاداً من وجودنا

هنا اليوم لنتأكد أن الوحدة العربية ضرورة ، وأنه بدون الوحدة العربية قد يحصل لهذا الشعب مثلما حصل له في عام ١٩١١ م .

في عام ١٨٣٠ م احتلت فرنسا الجزائر وفي عام ١٨٨١ م احتلت تونس وفي عام ١٨٨٢ م احتلت بريطانيا مصر وفي ١٨٩٦ م احتلت بريطانيا السودان وفي ١٨٣٩ م احتلت بريطانيا جنوب اليمن وفي عام ١٩١١ م احتلت إيطاليا ليبيا ، ما معنى هذا ؟ معنى هذا أن هؤلاء الناس اتفقوا مع بعضهم على أن يقتسموا الأرض العربية شبراً شبراً ، واحتلوها فترة بعد فترة حتى لا تستطيع الأمة العربية أن تقف وقفة واحدة في وجه الإستعمار الغربي ، هذا هو الذى يجرى اليوم ، هذا هو القائم اليوم . . تمزق الوطن العربي . . إقليمية ، تجزئة ، وفي نفس الوقت الإستعمار يواصل زحفه بشتى الطرق من النفسية حتى الطرق الحربية .

ماذا يقول التاريخ عنا ، يقول — في لندن في ٨ ابريل ١٩٠٤ م عقد إجتماع سرى تنازلت فيه بريطانيا لفرنسا

عن المغرب العربي .. مراكش .. وتنازلت فرنسا لبريطانيا عن مصر .. مصر أرض عربية والمغرب - مراكش - أرض عربية والذى تنازل عنها الإنجليز والفرنسيون ، هم الذين تنازلوا لبعضهم عن مصر وعن المغرب .. الإجتماع عقد في لندن في القطب الشمالى .. هذا درس من دروس التاريخ ..

لقد تولى مقاليد الأمور في الأقاليم العربية حكام كان همهم الأول المحافظة على عروشهم . فرعوا البذور الانفصالية التى غرسها المستعمرون في بلادهم . واستشرت النزعة الإقليمية تحت العديد من الذرائع والأقنعة ، ومنها المصلحة الوطنية الضيقة لكل قطر ، ومنها أيضاً المصالح الشخصية للمنتفعين والحكام .

امة لها رسالة

ان القومية العربية كوجود اجتماعى وتاريخى للامة العربية ، تقوم وتستند الى اسس انسانية عميقة يتصل من

خلالها الشعب العربي اتصالا طبيعيا بالانسانية كلها ، وينفعل انفعالا صادقا بآلامها وآمالها ومشاكلها وأهدافها .

ان الانسانية الحقة تبتدىء من القومية الحقة ، وبالتالى فالقومية المعوجة تؤدى الى انسانية معوجة ، ولهذا فان الطريق الى الانسانية لا يبتدىء الا من الوطن القومى ، فالانسان ابن لمجتمعه ، وهو مهيأ بحكم ارتباطه القومى بمجتمعه وارضه وتاريخه ولغته وثقافته ، لأن ينفعل بآلام قوميته وآمالها قبل القوميات الاخرى ، وهو عن طريق انفعاله بقوميته يصل الى الانفعال بالانسانية كلها .

ان القومية ذات المضمون الانساني الايجابي هى الطريق الوحيد الايجابى للانسان ، وهى ايضا الطريق الوحيد للسلام الحقيقى الشريف . والقومية ليست نزعة انعزالية ، ذلك لأن القوميات الواعية انما تشكلها وحدات اجتماعية متفاعلة تأخذ وتعطى ، وتزيد الحضارة غنى وشمولا وعمقا .

وهذه الأسس تقرر فهم القومية العربية على انها ليست قومية عنصرية أو استعلائية أو عدوانية أو انعزالية ، انها الطريق السليم للانسانية السليمة :

ان الوجود القومى يقوم على تفاعل عوامل اللغة والتاريخ والثقافة والتقاليد والاهداف وليس على اوهام الدم والجنس .. والوحدة القومية هى الوحدة الاجتماعية التاريخية العامة وليست تلك المبنية على الدم أو العنصر فقط .

ان القومية العربية تقوم على احترام الانسان وتقديس حقه في الحياة والمساواة بينه وبين غيره من الافراد . وترفض تصنيف الناس الى طبقات ، تعطى حق الحياة للبعض وتعتبر البعض كميات مهملة . انها تسعى دائما لتحقيق التوازن في علاقات الفرد بالجماعة .

ان الوطن العربي جزء من العالم وجسر بين ثلاث قارات ، والقومية العربية لا تستطيع ان تحيا لنفسها ومن ثم لا تستطيع ان تطرح الرسالة الانسانية جانبا وكل قومية تفعل ذلك تحكم على نفسها بالفناء .

ونحن نذكر بفخار انه في هذا الوطن ولدت قبل اربعة عشر قرنا من الزمان حركة لها رسالتها الانسانية الرائعة ، رسالة تؤمن بالخالق العظيم رب العالمين ، وبأن الدعوة في سبيله تكون بالموعظة الحسنة وبأن البشر سواسية يبتغون

وجه الله ، ولو كان العربي خرج فاتحا غازيا طامعا لانتهى به الامر الى ما انتهى به امر المغول أو أمر الاتراك أو أمر أوربا الحديثة حين خرجت غازية وطامعة .

لقد خرج العربي وفي يده كتاب ، هذا الكتاب يرسم سلوكه ، هذا الكتاب يجعل الناس سواسية ، ويضع سلاح القوة في يد المغلوب كما يضعه في يد الغالب تماما ، واصبح في قدرة المغلوب ان يسود الغالب . خرج العربي وهو يعرف أن الله يأمره بأن يكون أخا للمغلوب وبأن كل من يدخل في دين الله أصبحت له كل المزايا التى للعربي وبأن من لا يريد أن يدخل في دين الله لا يكره على دخوله فيه « لا اكراه في الدين » .

ان الاسلام انتشر في داخل آسيا وبلغ مشارف الصين واطراف الهند واندونيسيا ، وليست هناك حملة بحرية واحدة خرجت من ارض العرب ، وانما انتشر تجار العرب لينشروا الحضارة وانتشروا الى الهند وسواحلها . والى اندونيسيا ونشروا الاسلام هناك بين سبعين مليونا أو أكثر ، لم ينشروه بحد السيف وانما نشروه بتبادل الافكار وبالحسنى واهل

هذه البلاد كلها يعرفون اسلامهم ويستمسكون به لا لشيء الا لأنه لم يفرض عليهم وانه دين اخاء ودين مساواة .

ومنذ جاءت أوربا ، جاءت ومعها صفات أخرى ذميمة حقا ، صفات خلقتها القارة المنزوية البعيدة الصغيرة ، الفقيرة بفكرها ، وحضارتها التي أضفت على ابنائها ان يتلمسوا أصولا لهم في حضارة الآخرين فورثوا مركب النقص .

اننا أغنياء بحضارتنا وبتاريخنا وبتراثنا ، قد نكون فقراء ، ولكننا اغنياء النفوس ، اما أوربا فقد كانت فقيرة في تاريخها ولم تستطع ان تسود العالم في الفكر ولا في الحضارة حتى جاءت هذه القرون الاربعة الاخيرة وظهرت الآلة والصناعة القائمة عليها وظهرت مدنية مادية تضع المادة قبل المعنى وتضع الجسد قبل الروح .

اضافت هذه المدنية المادية الى جانب مركب النقص ومركب الاستعلاء مركبا آخر ، يصور لصاحبه انه مادام يملك القوة ، فانه صاحبها يجب ان تكون له السيطرة العالمية ،

فخرجت أوروبا تستعمر العالم كله ، لتصبح لبعض سكانها امبراطوريات لا تغيب عنها الشمس ، ثم ظهر الاستعمار الحديث بصوره المختلفة ، الاستيطاني والتوسعي واستعمار الضم واستعمار الاستغلال والسيطرة الاقتصادية .

ان الاستعمار الاوربي لم يكن حركة فحسب، بل كان فكرة ايضا . فكرة تأصلت في القارة . بدأها الفلاسفة أنفسهم ومنهم الفيلسوف مونتسكي الذى كتب هذه العبارة « اذا كان علينا ان ندافع عن حقنا المكتسب في اتخاذ الزنوج ذات البشرة السوداء عبيدا ، فاني اقول ان شعوب اوربا وقد افنت سكان أمريكا الاصليين افناء ، لم يكن امامها بعد ان افنت الهنود الحمر في امريكا واحتاجت الى استجلاب الزنوج العبيد من افريقية ، لم يكن امامها الا ان تستعبد شعوب افريقية لكي تستخدمها في استصلاح ارجاء امريكا الشاسعة ، وما شعوب افريقية الا جماعات سوداء البشرة ، من أخمص القدم الى قمة الرأس ، ذات أنوف فطساء الى درجة يكاد يكون من المستحيل ان يرثى لها وحاشا لله

ان يكون قد أودع روحا أو على الاخص روحا طيبة في جسد حالك السواد » .

هذه هى فكرة الاستعمار الاوروبي ، لم يخرج لمجرد الطمع أو الفتح فحسب،وانما جاء كفلسفة ، وهذه الفلسفة هى التى سيرت رجال الفكر ووحدت رجال الدين في أوربا كلها لمكافحة العناصر الاخرى ووحدت رجال السياسة والاقتصاد وكتلت الكتل الشعبية واصبحت هناك شركات للاستعمار بأسهم وسندات واصبح الاستعمار فكرة عامة جامحة تكالبت عليها أوربا .

ونحن لا نستطيع ان نحارب التكتل الا بالتكتل ، ولا نستطيع ان نغلب الوحدة في الشر الا بالوحدة في الخير ، فعلينا أن نتحد ، ان سعينا بالوحدة والتكتل سيقلل الشر والتكتل الاستعمارى في العالم وستكون هذه الوحدة الخير لنا وللانسانية، وهى تحقيق لكلمة الله فينا (كنتم خير أمة اخرجت للناس ... » .

ان وحدة الأمة العربية ونضال شعبها من اجل هذا الحلم الحتمى ليس بالشيء البسيط الهين لان الاستعمار

واعوانه ليس في مصلحتهم وحدة الامة العربية التى سوف تنهض وتصبح دولة جماهيرية قوية واحدة لذلك حاربها الاستعمار تاريخيا ومايزال يحاربنا بكل ما يملك .

توصية باستعمار فلسطين

في عام ١٩٠٤ كانت بريطانيا تمثل أقوى الدول الاستعمارية في العالم ، ورأت هذه الدولة انه من الضرورى ايجاد جبهة استعمارية واحدة لتنسيق مصالح الاستعمار وحمايتها .

وتم اتفاق بين بريطانيا والدول الاستعمارية الاخرى على تأليف لجنة من الخبراء تتولى دراسة تاريخ الامبراطوريات واسباب انحلالها . والبحث عن الوسائل التى تحول دون انهيار الاستعمار الغربي .

لقد بدأ التقرير الذى رفعته اللجنة ، بالتأكيد على أهمية السيطرة على البحر المتوسط باعتباره الشريان الحيوى للاستعمار والجسر بين الشرق والغرب ، وملتقى مواصلات العالم ، وان من يستطيع السيطرة على شواطئه يستطيع التحكم في العالم .

فعلى سواحله الشرقية والجنوبية يقيم شعب واحد تتوافر له من وحدة التاريخ واللغة والآمال كل مقومات التجمع والترابط . كما انه اذا تكاملت لهذا الشعب كل هذه المقومات علاوة على ثرواته الطبيعية ، ونزعة أهله الى التحرر . فانه ستحل الضربة القاضية حتما بالدول الاستعمارية وتتبخر احلام الاستعمار .

وقد ناشد التقرير الدول الاستعمارية ذات المصالح المشتركة ان تعمل على استمرار المحافظة على وضع هذه المنطقة المجزأة متأخرة وعلى ابقاء شعبها على ماهو عليه من تفكك وجهل . وضرورة محاربة وحدة هذه الجماهير أو ارتباطها بأى نوع من التلاقي الفكرى أو الروحى أو التاريخى .

وكأجراء سريع لدرء هذا الخطر . اوصى التقرير بضرورة العمل على فصل الجزء الافريقى من هذه المنطقة عن جزئها الآسيوى . واقترح لذلك اقامة حاجز بشرى قوى وغريب في منطقة الجسر الذى يربط آسيا بافريقيا

بالبحر المتوسط بحيث يشكل في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة صديقة للاستعمار وعدوة لسكان المنطقة لتخوض صراع وجود بينها وبين العرب .

وهكذا التقت المصالح .. الاستعمار يهدف الى محو عروبة المنطقة وتفتيتها وابقائها ضعيفة .. والصهيونية تريد اختلاف وطنا قوميا . . وبذلك سار الاستعمار والصهيونية جنبا الى جنب منذ ذلك الحين .

ان وطن القومية العربية تبلغ مساحته اكثر من ١٢ مليون كيلومتر مربع ويأتي في المساحة بعد الاتحاد السوفيتي ، وهو اكبر من مساحة القارة الافريقية واكبر من قارة أوربا التى تبلغ مساحتها ١٠ ملايين كيلومتر مربع ، وهو اكبر من مساحة الولايات المتحدة الامريكية .

هذا الوطن الزاخر بالامكانيات الهائلة والذى صرع الاستعمار الغربي القديم . الروماني والصليبي والتجارى والفرنسي والانجليزى والاستعمار التركى والاستعمار الحديث . قادر أيضا ان يقهر اتحاد الاستعمار الحديث والصهيونية العالمية.

لقد صمدت القومية العربية لجحافل المغول والتتار واستطاعت ان تنتصر عليها في أرض الشام .

ثم صمدت للمد الصليبي الاستعماري وظلت تناوئه حتى صرعته وابعدته عن أرضها .. وثبتت للاستعمار العثماني ومضت في مغالبته حتى هزمته .

انها القومية الغلابة التي هزمت الفرنسيين وأجبرتهم على الانسحاب من أرضها بعد محاولات عنيدة لضم الارض العربية الى الممتلكات الفرنسية .

وهى القومية الفتية التي نازلت الاستعمار الايطالى الغاشم سنوات طوالا حتى أجبرت فلوله على ان تحمل عصاها على كاهلها وترحل آسفة عن أرضنا الطاهرة .

انها القومية الحية الواعية التي تنازل الاستعمار في كل مكان على أرضها وعلى كل أرض تطلب الحرية . وهى تقاوم في عنف ما تبيته الرأسمالية والصهيونية العالمية من غزو لأرضها لتحول دون نمو الشعب العربي وتقدمه .
لماذا يخلص الشعب العربي من نفسه هذا الكابوس ؟

الجماهيرية هى الكيان السياسى للوحدة

الذين أوصلتهم الثورات والانتفاضات إلى السلطة ثبت أن نهايتهم هى السلطة،وأن الاحزاب التى تكونت من أجل الوحدة والتحرير نهايتها هى الأخرى السلطة . حتى النقابات العمالية ، والزعامات النقابية القائمة ثبت أن كل غاياتها هى السلطة وأن تجلس على رؤوس العمال . المحامون أيضا نستطيع ان نقول عنهم انهم مؤسسة برجوازية لا تبغى إلا الربح على حساب المواطن وقضاياه .

الأمل في الجماهير

هذا هو الواقع وهذا هو رد فعلى تجاهه ، لكن ومقابل كل ذلك فإن ألامل في القوة الشعبية العربية في المواطن العربي المقهور والمستغل . هذه الجماهير الشعبية هى المعنية بالوصول إلى السلطة وتحطيم جميع هذه الكيانات ، لتحقيق

والحريــة والاشتراكية ، ومصلحتها في قيــام الــوحدة الجماهيرية .

في السابق كنا نتساءل عن الوحدة ومن له مصلحة في تحقيقها ، والغريب أنه ليس هناك من يتحمس لها . يمكننا أن نقول إن الوحدة هي لمصلحة حتى الملوك والرؤساء العرب الذين بامكانهم أن يعملوا مجلسا أعلى ويتربعوا على كراسى الحكم فوق الجماهير ويمكن أن تكون لمصلحة المقاولين العرب ... بذلك تتسع اسواقهم أكثر ويستفيدون اكثر من الوحدة . ويمكن أن تكون لمصلحة الجيوش التى تستطيع أن تنظم مجموعة من الانقلابات وتقيم مجلسا عسكريا موحدا .

اننا نتحدث عن القوى التى لها مصلحة في الوحدة . وكنا نتخوف أن تشكل هذه الوحدة خطرا على الجماهير ، ولمصلحة تحالف الاستغلال والرأسماليين ، لكن ليس هناك من دافع للجماهير للتحرك من أجل الوحدة ، ومصلحتها في هذه الوحدة غير واضحة . لكن الآن وعندما نقول بالوحدة الجماهيرية .. الوحدة التى يكون كل مافيها

للجماهير ، فإنه يتوجب على هذه الجماهير أن تتحرك وتناضل من اجل الوحدة ، عليها أن تضحي في سبيل ذلك لمعرفتها بأن الوحدة القادمة هي وحدة جماهيرية ، وليست لمصلحة الاستغلال ولا لمصلحة الدكتاتورية .

هذا هو الأمل .. الامل المرتكز على الجماهير الشعبية صاحبة المصلحة الحقيقية في تحقيق الوحدة .

فالحفاظ على الثورة وتطويرها هو من أجل الوحدة . والنموذج هو أن تكون السلطة والثروة والسلاح بيد الشعب العربي هو وحده الحل الذى يجب أن يتحقق على مستوى الأمة العربية ، يجب أن نقيم المجتمع الجماهيرى ، وفي الثورة الجماهيرية التى ستتحقق عندما تنتفض الجماهير العربية سيصبح بالامكان قيام المجتمع الجماهيرى العربي من المحيط إلى الخليج ، المجتمع الذى يصبح كل مافيه ملكا للجماهير .

اذن مايطبق في ليبيا هو ما يسبب المتاعب لقوى الدكتاتورية والاستغلال المضادة للجماهير العربية لان ليبيا تقدم النموذج الذى يدفع الجماهير إلى الثورة . فعندما

نقول في ليبيا إن البيت لساكنه . فإن كل الجماهير العربية تتحفز للتخلص من الاستغلاليين وكبار الملاك ، ويتساءلون لماذا لاتكون المنازل التي يقطنونها ملكا لهم ، وليست ملكا لهذا المالك الكبير أو ذاك .. وعندما نقول إن الثروة ملك للجميع في أى بلد ، ويجب أن تُقَسّم على جميع ابنائه بمن فيهم العجزة ، فإن في هذا تحريضا لكل الجماهير العربية على أن ترفض احتكار الثروة من قبل قله قليلة لا تعرف كيف أثروا ، فبمجرد أن تمكن أحدهم من الحصول على رخصة تاجر أو مقاول ، تهبط عليه الثروات وكأنه قد كتب في رخص عملهم بحبر سرى : « يسمح لفلان الفلاني باسم السلطات بممارسة السرقة والاختلاس » إن التاجر يبيع مايفترض أن ثمنه ٥ دنانير بعشرة ، هذا هو معنى الرخصة التجارية سرقة جيوب الناس ، تماما كما لو أنها رخصة للقتل كتب عليها يسمح لفلان بقتل فلان .

هذا هو الواقع إذا ما نظرنا إليه بعين الثورة .. كل هذه الرخص للتجارة وأرباب العمل هى السرقة . فرخصة رب العمل هى رخصة لاستخدام العمال لمدة ١٠ ساعات

يأخذ من قيمة عائداتها ٥ ساعات ويترك للعامل قيمة الساعات الخمس المتبقية . وهكذا فهذه الرخصة التى اعطتها إياه الحكومة هى رخصة لسرقة جهد العمال . ولهذا فإن الإسم الحقيقى لمن يسمونه برب العمل هو « سارق جهد العمال » ، والشهادة التى أعطيت له ، هى شهادة السماح له بهذه السرقة. اذن كل هذه القوانين يجب أن تتحطم ، ويأخذ كل صاحب حق حقه ، وهكذا فإن ما يجرى في ليبيا هو كشف لحقيقة ارباب العمل والمستغلين في الوطن العربي . من خلال الكشف عن الحبر السرى الذى تسجل فيه حقيقة أوضاعهم . وهذا الفضح الذى نقوم به يشكل خطرا على الانظمة الدكتاتورية وقوى الاستغلال في وطننا وإن ما يجوى في ليبيا يقرب من الثورة الشعبية الوحدوية ، ويرسم صورة الوحدة الشعبية الشاملة من المحيط إلى الخليج .

قال قائد الثورة :

وليسمع الأذناب والعملاء المحتمون بالمستعمر الأجنبى إننا سنحرض على الثورة ضدهم حتى تزول الحدود .

إننا في هذا اليوم نعلن للقوى الأجنبية التى تعتقد انه بإستعراض عضلاتها بتهديدها للشعب الليبى الحر تستطيع أن تثنى هذا الشعب عن المضى الى الأمام في طريق الوحدة والثورة وبناء الإشتراكية .. نعلن لهم ان هذه التحديات لا يمكن ان تزيدنا إلا صلابة وتحدياً .. ونعلن ان استعراض القوات الأمريكية بالأمر والطلب الملح من العملاء والأذناب الساذجين الخانعين الساقطين في مزبلة التاريخ – نعلن لأمريكا – ان استعراض قواتها لن يزيد شعبنا إلا تحدياً .

إنه مهما كانت الإحتمالات خطيرة فإننا سنمضى بتحد وإصرار وعناد للتحريض على الثورة في السودان وفي مصر وفي كل بقعة من وطننا العربي حتى تنتصر الأمة العربية وتتحرر الإرادة العربية رغم أنف أمريكا ورغم أنف الصهاينة ورغم أنف العملاء .

ولتعلم أمريكا وليعلم العالم كله ان أية تفاعلات سلماً كانت أم حرباً داخل الوطن العربي هى أمور داخلية تخص العرب فقط ولا يحق لأى جهة أن تتدخل في ذلك .

ان الأمــة العربية يحق لهــا أن تتوحد وتزيل الحدود بين أجزائها فوحدة الأمة العربية لا تختلف عن وحدة ولايات أمريكا ولا تختلف عن وحدة الجمهوريات السوفيتية ولا عن وحدة الجمهوريات اليوغسلافية ووحدة جمهوريات إيطاليا فالكفاح الذى نخوضه من أجل تكسير الحدود بيننا وبين مصر وبيننا وبين السودان وبيننا وبين أى جزء من الوطن العربي هو تماماً مثل الكفاح الذى خاضته أمريكا لإزالة الحدود بين ولاياتها وعلى أمريكا أن تقرأ التاريخ وتدرك ان كفاح الأمة العربية من أجل الوحدة هو نفس الكفاح الذى خاضه الأمريكيون في يوم ما من أجل الوحدة فلقد اعتبر الأمريكيون بريطانيا التى تصدت لتحرير وحدة الولايات المتحدة بأنها مستعمرة تمارس ضدها كل أنواع الكفاح بما فيها ما تعتبره أمريكا اليوم إرهاباً حيث مارسه المقاتلون الأمريكيون ضد الإستعمار البريطاني .

ان كفــاح الأمــريكيين في ذلــك الــوقت لم

يكتسب الشرعية لدى البريطانيين في حين انه كان شرعياً عند المقاتلين الأمريكيين .

.. ان كفاحنا اليوم لتحرير وحدة الأمة العربية هو نفس الكفاح الذى قاده أولئك الأمريكيون من أجل تحرير ووحدة بلادهم وإذا كان كفاحنا اليوم لا يعتبر مشروعاً في نظر أمريكا فذلك يعنى ان أمريكا الآن تمثل الدور الذى لعبتـــه بريطانيا المستعمرة في أمريكا في ذلك الوقت وان كفاحنا نحـــن اليوم يمثل الدور الذى لعبـــه الأمريكيون في ذلك الوقت مـــن أجل تحرير وتوحيد بلادهم .

ان كفاحنا اليوم لتحرير وحدة الأمة العربية هو نفس الكفاح الذى قادة أولئك الأمريكيون من أجل تحرير ووحدة بلادهم وإذا كان كفاحنا اليوم لا يعتبر مشروعاً في نظر أمريكا فذلك يعنى أن أمريكا الآن تمثل الدور الذى لعبته بريطانيا المستعمرة في أمريكا في ذلك الوقت وان كفاحنا نحن اليوم يمثل الدور الذى لعبه الأمريكيون في ذلك الوقت من أجل تحرير وتوحيد بلادهم .

ان الكفاح الذى نخوضه من أجل وحدة الأمة العربية هو أيضاً نفس الكفاح الذى خاضته ايطاليا من أجل توحيدها حيث مارست كل أنواع الكفاح بما فيها حرب العصابات والحرب الفدائية وهذا الكفاح هو الذى أدى إلى وحدة ايطاليا والذى كان يعتبره أعداء الأمة الايطالية في يوم ما عملا ارهابياً وتخريبياً .

اننا نقول لهم ان التاريخ يعيد نفسه فنحن الآن نخوض نفس الكفاح ونملك نفس الشرعية إلا اننا في نفس الوقت نواجه بنفس الحجة الاستعمارية البالية وان هذه الحجج لم تقف في وجه توحيد ايطاليا وتوحيد الولايات الأمريكية وتوحيد ألمانيا حيث ظهرت بالرغم من هذه الحجج أمم مستقلة موحدة في كل من الولايات الأمريكية وايطاليا وألمانيا وذهب الذين عارضوا وحدة تلك الأمم وبقيت هذه الأمم . . وهكذا فان كفاح الأمة العربية من أجل الوحدة سوف ينتصر ويبقى اما الذين يعارضونها فسوف يزولون وتدوسهم الجماهير بأقدامها ويوضعون في مزبلة

التاريخ مثلهم مثل الذين عارضوا كفاح وحدة الأمم من قبل :

أن الشعب العربي الليبي لا يخشى أمريكا رغم اننا نعلم ان أمريكا قوة كبرى وليس هناك وجه للمقارنة بيننا وبينها لأننا نمارس حقنا المشروع في العيش فوق الأرض وتحت الشمس ومن حقنا أن نعيش أحراراً فوق أرضنا فاقد خلقنا الله ولم تخلقنا أمريكا التى مهما تجبرت وتحدت فنحن دائماً نقول ان الله أكبر من أمريكا وأكبر من قوة أمريكا ونحن سنعيش أحراراً رغم أنف أمريكا .

لقد تعالت أصوات من حولنا غاية في السخف وان هذه الأصوات التى تعالت من حولنا في الوطن العربي المهزوم الذى يعيش ايلا بهيماً والتى تقول انه من الجنون ان يتحدى الشعب الليبي أمريكا التى تمتلك قوة لا قدرة للشعب الليبي على مقاومتها . . ان هذاالمنطق الذى ارتفعت به هذه الأصوات السخيفة والهزيلة هو نفس المنطق الذى جعل السادات يستسلم ويبيع مصر وهو نفس المنطق

ايضاً الذى جعل السودان تستسلم وكذلك المغرب وهو نفس المنطق الذى جعل من المقاومة الفلسطينية تستسلم ان هذا المنطق الانهزامي هو منطق مرفوض .. اذا كان امتلاك أمريكا قوة لا تقارن بقوتنا ان نستسلم لها ؟ انا لم نقل اننا سنهزم أمريكا وننتصر على قواتها العسكرية والذرية ولكننا نستطيع أن نموت دفاعاً عن شرفنا ضد أمريكا أو ضد اية قوة مهما كانت فلقد قررنا الموت وامريكا لا تستطيع ان تمنعنا من الموت دفاعاً عن وجودنا ..

فنحن نكافح من أجل توحيد أمة عربية عظيمة اننا أن هذا هو القرار الذى يجب أن تتخـــذه جماهـــير الامة العربية في كل مكان .. وكان يجب ان يكون القرار الذى تتخذه المقاومة الفلسطينية .

ان الأمـة العـربيـة إذا توحـدت فلـن نسمـع هـذه الأصـوات السخيفـة التى تقـول أن امـريكا لا قبـل لنا بقـوتها وان هـذه الأمـة اذا تـوحـدت ستصبـح قوة تضاهى امريكا ، الا ان امريكا لا تريد ان ترى قوة

عربية رابعة جديدة ، قوة عربية صاعدة تخلق لها عدوا عندما يدمر أول مايدمر قاعدتها التي ترتكز عليها في فلسطين .

ان امـــريكا عـــندما تحارب ليبيا انها تحـــارب كل العرب لانها تحارب وحدة الأمة العربية .. وعلى المغفلين من المحيط الى الخليج الذين يعتقدون ان المعركة هي بين ليبيا وامريكا ان يدركوا ان هذه المعركة هي بين الامة العربية وبين امريكا .. فهي معركة ضد مستقبل الامة العربية وضد قوة الأمة العربية .

ان أمريكا عندما تتحدى ليبيا فانها تتحدى المستقبل العربي وتتحدى اتجاهات الوحدة العربية وتتحدى السياسة الوحدوية وتتحدى السياسة الثورية والتقدمية ان أمريكا عندما تتحدانا لا تتحدى الليبيين باعتبارهم مليونين أو ثلاثة ملايين ولا تتحداهم باعتبارهم يملكون مليون برميل من النفط في اليوم ولا تتحداهم لانهم يعيشون في هذه الصحراء القاحلة .. ان امريكا تتحدى الشعب الليبي لانه يمثل طموحات الامة العربية في الوحدة والتحرر

والاستقلال وبناء التقدم وبناء القوة .. ان امريكا عندما تتحدى الليبيين والليبيات فانما تتحدى فيهم كبرياء الامة العربية ومستقبل الامة العربية الذى تريد امريكا ان تشكله كيفما تريد وان امريكا تتحدى في الليبيين التوجهات الوحدوية التقدمية الجماهيرية الصادقة .

ان عليكم ان تفهموا جميعا الكم عندما تواجهون امريكا لا تواجهونها دفاعا عن الصحراء القاحلة أو دفاعا عن مليون برميل من النفط في اليوم أو دفاعا عن شعب صغير وفقير فعندما تواجهون امريكا ايها الليبيون والليبيات انما تواجهونها دفاعاً عن مستقبل الأمة العربية ودفاعاً عن كرامة الامة العربية وعن حق الامة العربية في الوحدة والحياة والبقاء .. وعندما نتحدى امريكا نتحداها باسم الامة العربية باسم الارادة العربية باسم اجيال الامة العربية القادمة ..

« شعبة المنهج والتعميمات »

سلسلة تعميمات حركة اللجان الثورية

شعبة المنهج و التعميمات

مكتب الاتصال باللجان الثورية

طرابلس الجماهيرية

